تمثلات الفكر الاشتراكي في شعر عبد الوهاب البياتي

Representations of socialist thought by Abdul Wahab Al-Bayati

حسين يسر حسين أ.د حافظ محمد عباس

Hussain Yusr Hussain

الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم اللغة العربية

Mustansiriya University college of Literature the department of Arabic language

y37072219@gmail.com hafedh.alshamery@gmil.com

الملخص

ان الفكر الاشتراكي هو الذي "يرتكز إلى حدٍّ بعيد على فكرة وحدة الطبقة العاملة في مختلف أنحاء العالم، ومع ذلك فإن هذه الوحدة بعيدةٌ كلَّ البُعد عن التحقق في وقتنا الحالي؛ ذلك لأن الفارق بين مستوى الطبقة العاملة في البلاد الغنية، ونظيرتها في البلاد الفقيرة، يبلغ من الضخامة حدًّا يحول دون تصور أية وحدة في المصالح بينها، ويجعل من الضروري إعادةَ النظر في الدعوة إلى اتحاد «عمال العالم» من أجل تحقيق الثورة الاشتراكية".

اسس "الأدب العربي" على مدارس عدة، ولكل مدرسة نهج خاص، وتوجهات معينة تسير وفقها، حيث يلتزم أدباء هذه المدرسة بمبادئها وتوجهاتها، ونستطيع القول ان المدارس الأدبية التي انتشرت في العصر الحديث ولا سيما في الأعمال الأدب العالمي كانت "المدرسة الواقعية" في الأدب، وان الواقعية تتجلى كمدرسة لها مبادئها وأسسها، إلا أن الوقوف عند تحديد مفهومها بدقة لم يُضبط ضبطًا دقيقًا إلى الآن، ونستطيع القول توجد هناك آراء ووجهات النظرعديدة حول تعريف المدرسة الواقعية في الأدب، "ولا سيما في الأدب العربي".ونرى ان مايُقال في تحديد مفهوم المدرسة الواقعية هي المعرفة العقلانية للحياة، وكما يمكن القول إنّها تطلع العقل الإنساني لمستقبل

أفضل، وحياة مستقرة مثالية، ومن خلالها نستطيع اكتشاف حقيقة الحياة وأسرار العالم، وفهم قوانين تطور المجتمع، ومحاولة تحديد الطريقة التي يعيش وفقها المجتمع الإنساني.

وأهم ما يمكن ذكره في مفهوم الواقعية "أنّها تسلط الضوء على معرفة طبيعة الإنسان، وتحديد علاقته بالمحيط الخارجي، ومع أن الواقعية لم يتم الاتفاق على مفهوم دقيق لها، إلا أنّها أسهمت في وضع قوانين تهم النقد الأدبي الحديث واتجاهاته". (زكريا، ١٩٦٨)

الكلمات المفتاحية الفكر الاشتراكي ، عبدالوهاب البياتي، الواقعية ، الاشتراكية في الادب العربي، الفكر الاشتراكي في الشعر العربي الحديث

Abstract

Socialist thought is largely based on the idea of the unity of the working class in different parts of the world. However, this unity is far from being achieved at the present time; because "the difference between the level of the working class in rich" countries and its counterpart in poor countries is so great that it prevents the concept of any unity of interests between them, and makes it necessary to reconsider the call for the union of the "workers of the world" in order to achieve the socialist revolution.

Arabic literature was built on several schools, and each school has its own thought and certain trends that it follows, and the writers of this school adhere to its principles and trends. Among the literary schools that spread in the modern era, especially in world literature, was the realistic school in literature. Although realism appears as a school with its principles and foundations, its concept has not been precisely defined yet, as opinions and viewpoints abound regarding the definition of the realistic school in literature, especially in Arabic literature. What is said in defining the concept of the realistic school is that realism is the rational knowledge of life, and it can be said that it is the human mind's aspiration for a better future, an ideal life, an attempt to discover the truth of life and the secrets of the world, an understanding of the laws of societal development, and an attempt to determine the way in which human society lives. The most important thing that can be mentioned in the concept of realism is that it sheds light on knowledge of human nature, and determines his relationship with the external environment, and although there is no agreement on a precise concept for realism, it

has contributed to establishing laws that concern modern literary criticism and its trends. (Zakaria, 1968)

Keywords: Socialist thought, Abdul Wahab Al-Bayati, Socialist realism in Arabic literature, Socialist thought in modern Arabic poetry

توطئة:

بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة على حبيبنا رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم.

يتحدث البحث الحالي عن تمثلات الفكر الاشتراكي في شعر عبد الوهاب البياتي حيث

وضحت بذور "الفكر الاشتراكي" منذ العصور القديمة حيث تعد جمهورية أفلاطون المثالية المبنية أساساً على النخبة المتميّزة الموهوبة من الناس جمهورية اشتراكية أرستقراطية. واستنتجنا ان الديانتان السماويتان المسيحية والإسلام تكون على مجموعة مبادئ تعد من صميم "الفكر الاشتراكي".

كذلك عرف العالم حركات تمثل رفضاً للواقع، ومحاولة لبناء مجتمع جديد يقوم على أساس العدالة والمساواة مثل ثورات العبيد في رومة وثورات الزنج والقرامطة في العصر العباسي.

والاشتراكية فكر جديد بعالمنا العربي و تطبيق اقتصادى و سياسى لم تأخذ به الحكومات العربية إلا متأخرة، وقد شارك الأدباء والفنانون بانتاجهم محاولين نشر الفكر الإشتراكي واتخاذه وسيلة للوحى وسبيلا للكتابة وتسجيل مشكلات. الشعب العربى فى هديه . دون أن تكون الإشتراكية قد تسربت في وجدان الشاعر أو الأديب أو الفنان ، وإنما حاول أن يضع شعاراتها في إنتاجه مساهمة منه في بث وعى اشتراكي .

ولو رجعنا إلى جذور التفكير العربي في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لوجدنا الفكر العربي قد مر بمرحلة من مراحل الاحتجاج على المجتمع الذى كان يعيش العرب فيه فقد احتج وقاوم الاستعمار عندما رأى الشعب مهاناً مستعبداً وبرز الاحتجاج من جراء التفاوت الطبقي و تفشى الإقطاع وسوء حالة الفلاحين فكانت هذه الجذور سبباً في أن تظاهر دعوات تنادى بتغيير حالة الشعب إلى حياة أفضل من حياته، تسودها الكرامة والعزة .

الفكر الاشتراكي

في رأيي أن ضرورة التجديد كامنةٌ في صميم الفكر الاشتراكي ذاته؛ فهناك على الأقل مبدآن رئيسيان في هذا الفكر، يحتمان القيام بمراجعة دائمة لأصول النظرية الاشتراكية:

أول هذين المبدأين: أن كل نظرية إنما هي انعكاسٌ لواقعٍ معيَّن وتعبيرٌ عنه، وأنها ليست بناءً فكريًّا يرتكز على فراغ، بل إن جذورها تتغلغل دائما في الواقع الذي نبتت منه.

وثانيهما: أن الواقع في تغيُّر مستمر، وأن التحول قانونُ الحياة في العالم الطبيعي والإنساني معًا. (ميزي، ١٩٢٢، صفحة ١١٩) (زكريا، ١٩٦٨)

فإذا جمعنا بين هذين المبدأين، أمكننا أن نقرِّر أن الفكر الاشتراكي ينطوي ضمن مقوماته الرئيسية التي لا تنفصل عنه على مبدأ ضرورة مراجعته وتعديله وإعادة النظر فيه، ولو لم نعترف بهذا المبدأ الاخير، لكُنَّا نرتكز في عدم اعترافنا هذا على قضايا تتنافى مع أصول الفكر الاشتراكي نفسه؛ إذ إننا عندئذٍ إما أن نكون ممن ينكِرون تغيُّر الواقع، فنظن أن هذا الواقع قد ثبت وتحجَّر عند وضع معيَّن، وإما أن نكون من القائلين بإمكان وجود نظريةٍ تظل محتفظة بصلاحيتها بالرغم من تغيُّر الواقع الذي ظهرت أصلا لكي تعبِّر عنه. (مداخلة في ندوة المائة لثورة اكتوبر الاشتراكية، ٢٠١٧)

على أن تغيير الواقع الذي يتتبع ضرورة مراجعة النظرية لا يعني أن النظرية ذاتها عميقة، أو أنها تعجز عن أن تقدِّم إلينا أي أساس للتنبؤ؛ ذلك لأن التغيُّر كما قلنا من قبلُ حقيقةٌ طبيعيةٌ ترتكز عليها كل فلسفة ذات صبغة علمية، ومن جهة أخرى فإن هناك نوعًا اخر من التغيُّر، يمكن أن يوصف بأنه تغيُّر مفتعل أو متعمَّد، يتم فرضه على الواقع قسرًا من أجل هدم الأساس الذي ترتكز عليه النظرية، والحيلولة دون حدوث النتائج التي تتنبأ بها؛ فالنظرية الاشتراكية تتنبأ بانهيار النظام الرأسمالي، أو على الأقل بتزعزع أركانه؛ نتيجة لحدوث تطوُّرات معيَّنة، تتخذ صبغة التناقض الحاد في داخله، والنظام الرأسمالي حريص على بقائه، ويدرك من جهةٍ اخرى أن تطوُّره لو سار في طريقه الطبيعي فسوف يؤدي إلى تحقيق التنبؤات التي تقول بها النظرية الاشتراكية، ومن هنا فإنه يعمل على تغيير مسار تطوُّره بطريقة مفتعلة حتى يحول دون تحقيق تنبؤاتها، مثل هذا التغيُّر هو بمعنًى معيَّن أي بالمعنى السطحي الظاهري تكذيبٌ للنظرية الاشتراكية، ولكنه بمعنًى اخر أعمقَ تأييدٌ وتأكيدٌ لها؛ إذ إنه لم ينبعث إلا عن مقاومة النظام الرأسمالي لها، وإدراكه لخطرها على كيانه، أي عن اعترافه الضمني بصحتها.

ومع ذلك فإن النظرية الاشتراكية إذا تمسَّكت بطابعها التقليدي، ولم تعمل على مواجهة الواقع الذي تعمَّد النظام الرأسمالي إحداث تغيُّرات مفتعلة فيه، فإنها تكون بذلك قد ساعدت بطريقة غير مباشرة على تحقيق اهداف خصومها، وبالتالي على هدم نفسها بنفسها، وبعبارة اخرى فإذا كان كلُّ تنبؤ يرتكز على واقعٍ معيَّن، وإذا كان النظام الرأسمالي قد تعمَّد تغيير الواقع الذي يعتمد عليه التنبؤ الاشتراكي، فإن من الخطأ التمسُّك بحَرفية هذا التنبؤ المبني على واقعٍ تم تجاوزه —حتى لو كان هذا التجاوز قد تم بطريقة مفتعلة —بل إن المسلك الصحيح في هذه الحالة هو التعديل المستمر للنظرية في ضوء الواقع الجديد. (موسى، ١٩٩٩، صفحة ٢٣٢)

وربما بَدَا للمرء أن هذه عمليةٌ لا نهاية لها؛ إذ إن هذا الواقع الجديد بدوره يمكن تغييرُه، وعندئذٍ يتعيَّن على النظرية أن تعدل نفسها من جديد، وهكذا إلى ما لا نهاية، ومن الجائز أن هذا صحيح، بل إن من الممكن أن يذهب المرء إلى حد القول إن نفس عملية وضع نظرية ترسم خطوطا محددة للثورة الاشتراكية في المستقبل، يمكن أن تُعَدَّ بمعنًى معيَّن معوِّقًا لهذه الثورة ذاتها، من حيث إنها تنبِّه الخَصم إلى نقاطِ ضعفه الداخلية وتدفعه إلى بذل جهودة من أجل تلافيها، والحيلولة دون تحقيق الظروف التي تَصدُق في ظلها النظرية، كل ذلك قد يكون ممكنًا، ولكنه لا يدعو إلى اليأس أو التوقُّف عن العمل والتفكير، بل إن كلَّ ما يدل عليه هو أن طريق الكفاح أمام الفكر الاشتراكي طويلٌ وشاقٌّ ومتعرِّج، وأن اصحاب النظريات التي تَرسم لهذا الكفاح مسارًا واحدًا يسير في خط مستقيم، غالبًا ما ينتهي بهم الأمر إلى واقعٍ يصدمهم ويكذِّب تنبؤاتهم. (فضل، ١٩٨٠، الصفحات ٣٣-٣٤)

الأشتراكية في العراق :

وبعد أن تخلى العراق عن الحكم الملكي في ثورته في ١٤ ثموز بقى في صلاته الاقتصادية يسير حسب النظام القديم ثم اخذ بالنظام الاشتراكي ومازال جاهداً لتطبيق هذا النظام وستمضى سنوات حتى يقدر المفكرون من نشر الرأى الاشتراكي بين الناس، وتصبح الاشتراكية جزءا من وجدناهم .

وقد جند النظام الاشتراكي قسما من العاملين في القضايا العامة ، و وقف ضده اخرون . ويمكننا أن نطلع على جانب من هذه الاراء في الاستفتاء الذي أجرته مجلة (الصناعي) التي رأت أن حوادث القرن التاسع عشر والقرن العشرين ناقضت آراء الاقتصاديين القدامي التي تقرر الحرية الاقتصادية ، وابتعاد الدولة عن التداخل في الاقتصاد وأن يتاح للفرد التمتع بحرية اقتصادية حسب طاقته وحسب مصلحته فوجدت أحد الكتاب يقول : إن الاشتراكية تمثل الجانب الاقتصادي للحرية، ولا حرية تامة بدون اشتراكية ، لأن الحرية السياسية تبقى بدون محتوى، إذا لم ترتبط بتكافؤ الفرص الاقتصادية ، وضمان مستوى لائق من المعيشة، ومنع الاستغلال، وعدالة توزيع الدخل القومى .

وقال كاتب اخر : إن الاصل في السياسة الاشتراكية ، هو التدرج نحو الإشتراكية الحقيقية ، وهى الملكية الجماعية . واستطرد فقال : إن الاصل هو هذه الإنسانية التي لا اعتقد أنها يمكن تحقيقها إلا بالحرية ، فالإنسانية والحرية مترادفتان، وحين تنعدم الحرية ، تنعدم إنسانية الإنسانية ..) ومن قوله : (... فإذا استطاعت الإشتراكية أن تحافظ على حرية الإنسان ، فانها بذلك تكون قد حققت أسمى ما يصيغو إليه المجتمع العراقي.

تمثلات الواقعية الاشتراكية في الادب العربي

ولما كانت الاشتراكية نظرة فلسفية واجتماعية تشمل كل فروع المعرفة والحياة فقد اهتمت بالأدب الواقعي ووجهته وجهة خاصة تناسبها، ووجدت فيه خير مصور للواقع وباعث للوعي وحافز إلى التغيير باتجاه التقدم. ومن هنا نشأت الواقعية الاشتراكية في الادب واصبحت مدرسة عالمية لها منهجها العقائدي المتميز الذي تم من خلالة استخلاص مدرسة نقدية سميت بمدرسة الواقعية الاشتراكية. وقد تبلورت معالمها في الثلاثينيات من القرن العشرين. وتتلخص سمات المدرسة الواقعية الاشتراكية في الادب بالخصائص الآتية:

١- إنها تنطلق من الواقع المادي من خلال فهم عميق لبنية المجتمع والعوامل الفعالة فيه والصراعات التي ستفضي إلى التغيير. فالواقع هو الصادق الوحيد والقاعدة العلمية الموضوعية

٢- الاديب طليعة مجتمعه بما أوتي من مؤهلات فكرية وفنية ووعي للعالم ومؤهلات قيادية تمكنه من التأثير في الأفكار والعقائد والقناعات والسلوك؛ فله اذن رسالة جوهرية إيجابية وهي الاتجاه مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل للجماهير العريضة. إن الادباء هم (مهندسو النفس البشرية)ولذلك لابد لهم من رؤية مستقبلية واضحة لما يجب أن يكون

٣- ينطلق الفهم العميق للمجتمع من التحليل الماركسي للصراع الطبقي والوصول إلى كنه التناقضات الجدلية في هذا الصراع الذي يقوم على التأثير والتأثر والناتج (الاصفر، ١٩٩٩، صفحة ٢٦١)

٤- الواقعية الاشتراكية متفائلة، تؤمن بانتصار الارادة الجماهيرية التي تتجه دوما في طريق الحق والخير وتتمكن من اعادة بناء المجتمع الجديد.

٥ – تولي الواقعية الاشتراكية أهمية كبرى لرسم وإبراز "النموذج البطولي في إطار التلاحم النضالي مع الجماهير والتصميم الارادي والصلابة والوعي والتضحية، بحيث يصبح نمطه مثالاً للناضلين، يحبّونه ويقتدون به.

٦- الواقعية الاشتراكية إنسانية وعالمية تؤمن بوحدة قضايا الشعوب ووحدة نضالها في سبيل التحرّر الاجتماعي والسياسي ووحدة الخط التاريخي، وتدين اشكال الاستعمار والاستغلال والفردية والتمييز العنصري والديني .وترى أن القومية جسر إلى العالمية، وترفض الاعتداء والتسلط والحروب.

٧- لا تهمل المقومات الفنية كالمقدرة اللغوية والأسلوبية وبراعة التصوير الطبيعي والنفسي وحرارة العاطفة والمقومات الخاصة بكل جنس ادبي وهي تتجه إلى الجماهير في خطابها ولذلك تختار اللغة السهلة المتداولة. ولا تقيم وزناً لادب يؤدي الاهداف دون حس مرهف واداء فني. فالمضمون والشكل متضامنان لا ينفصل أحدهما عن الاخر (الاصفر، ١٩٩٩، صفحة ٢٦٢)

ومما تقدم يرى الباحث أن اثر الواقعية الاشتراكية مدرسة إيديولوجية ملتزمة سواء على الصعيد الإبداعي أو النقدي؛ ولكنها تلح دوما على أن يكون الالتزام نابعاً من صميم القناعة، يتدفق من تلقاء ذاته وليس مجلوباً أو مفروضا أو مرائياً أو مجاملاً. إن الأدب الواقعي الاشتراكي هو ادب عربي التلاحم مع الجماهير، والنضال وايضا على اعتبار ان الواقعية الاشتراكية تقضاياها و مواضيعها من الواقع المعيش بجميع تناقضاته وصراعاته ، و الحياة اليومية للجماهير الكادحة بكل همومها و نضالاتها ، و في حركتها و بهزائمها و انتصاراتها ، **فانه من هذا التوجه تبرز أهم اثارها الموضوعية والعلمية ، فكانت اعمال الفنانين الواقعيين الاشتراكيين ، متدفقة بالحياة، متنوعة ومليئة بالالوان وذلك :** (المسدي، ١٩٨٣، صفحة ٣٤)

١ -على خلاف ما تدعو اليه الواقعية الجديدة الايطالية مثلا من ضرورة الاكتفاء بنسخ الواقع و الظواهر الملموسة ، كأن تكون كاميرا السينمائي عبارة عن عين اي انسان ، بدعوى أن الفنان يجب ان يكون محايدا و بدعوى ضرورة ترك حرية الفهم للمتفرج (المستهلك) .

فان الواقعية الاشتراكية ، لا تكتفي بالظواهر الملموسة و استنساخ الواقع كما هو ، انما تسعى الى ارشاد الجماهير الى خفايا هذا الواقع الذي قد لا تدركه هذه الجماهير ، و الربط بين الظاهر الطافي على السطح ، و بين الباطن الكامن ، للرفع من وعي الجماهير و الارتقاء به من الملاحظة السطحية ، الى التحليل و الاستنباط، كما يظهر ذلك جليا ، مثلا ، في شريط ايزنشتاين " الاضراب حين يبرز للمتفرج أن عدو العمال ليس فقط رئيس العملة الذي يواجهونه مباشرة ، بل هناك ايضا اعداء غير ظاهرين ، و هم صاحب المعمل ورئيس الشرطة والحرس و الوالي و الوزير)الدولة

٢- كما انه ايضا و على خلاف الواقعية الطبيعية ، التي تجتزء قضية ما ، أو مشكلة ، أو ظاهرة ما من الواقع ، وتعزلها عن بقية الظواهر وتظل تصفها وتشرحها بجاذبية و رونق ، و بتفصيلاتها الدقيقة ، بمعزل عن القضايا الاخرى المكونة للواقع ، و هي طريقة ، بالاضافة الى انها غير علمية فانها مضللة .

و هو ما يبرز بوضوح في كتابات و آثار رواد هذه المدرسة ك "الحيوان البشري "لإمل زولا (1920 - 1840) و في "مدام بوفاري "لجوستاف فلوبير .(1880 - 1821)بالمقابل يتناول الفن الواقعي الاشتراكي مواضيعه ، و قضاياه المفردة و الجزئية ، في انتمائها لهذا الكل الاجتماعي المكون .

٣- ايضا من مميزات الواقعية الإشتراكية، انها لا تتناول الواقع في جمودة، كواقع مريض مرضا مزمنا تنعدم فيه امكانية التغيير، وبالتالي اما الاستسلام له ، أو الفرار منه و هو حال الواقعية النقدية التي سعت الى الكشف عن أمراض ، و عيوب المجتمع البرجوازي واستنكاره و الاكتفاء بذلك . وهو ما يبرز في آثار رواد هذه المدرسة ، نذكر منها "الملهاة الإنسانية "لأنوريه دي بلزاك (1850 - 1799)، التي يصور فيها الحياة الفرنسية " .قصة مدينتين "لشارل ديكنز " .(1850 - 1812)الحرب و السلم "لتولستوي . (1910 - 1828 (الإخوة كرامازوف لدوستوفسكي.

في حين المفروض تقديم هذا الواقع في اعمق أعماقه ، و في كليته و شموله ، و الطرق المؤدية اليه . و هو ما يميز الواقعية الاشتراكية، في سعيها الدؤوب للتأكيد على حركة هذا الواقع، وامكانيات تحويله الى مجتمع أفضل، فهي لا تكتفي بالتفسير و التصوير بقدر ما تسعى الى التغيير ، و في هذا الجانب تمثل قصة "الأم "لماكسيم غوركي مثالا نموذجيا ساطعا من جملة هذه المميزات التي اتينا على ذكرها ، يمكن استنتاج أن الواقعية الإشتراكية هي مدرسة فنية شعبية ، بمعنى انها بخطابها الفني متوجهة الى الجماهير الشعبية، فهي تسعى الى الارتقاء بوعيهم بعيدا عن طلاسم السريالية ، و تعقيدات الرومانسية ، و رموز الواقعية الجديدة ، و غيرهم من المدارس مثل الإنطباعية و التعبيرية و التكعيبية . (الفيروزبادي، صفحة ١٦٤)

٤ -كما يمكن ايضا استنتاج ، ان الفنان الواقعي الإشتراكي لا يمكن ان يكون الا فنانا ثوريا ، اذ انه يسعى وراء كل عمل فني الى توعية، وتحريض الجماهير، واستنهاض هممها و ترسيخ ايمانها بحتمية الإنتصار . والم لاحظ ان الواقعية الاشتراكية و بخصائصها النوعية التي تميزها عن بقية الرؤى الفنية و الجمالية فانها لا تدخل معها في قطيعة بل تتفاعل معها جدلا خلاقا، يقول لينين "نحن ناخذ من كل ثقافة قومية عناصرها الديموقراطية و الاشتراكية فقط... نحن ناخذ ذلك من زاوية المعارضة فقط و بشكل مطلق للثقافة البرجوازية او القومية البرجوازية لكل امة ".فالثقافة البرجوازية الناشئة التي تميزت بعمقها وشموليتها و موسوعيتها ، و التي قدمت انجازات رائعة

في ميادين الادب والفن و النحت والعمارة و التي اهتمت بالفرد و حقوقه ، و تشكلت كثقافة انسانية، حتى ان هذا المصطلح كما يقول بليخانوف يدل عن الثقافة الدنيوية الزمنية ، و ذلك مقابل الثقافة اللاهوتية ، الا انها تكشفت عن احدى سيماتها الرئيسية ، أي نزعتها الفردية ، التي عبرت في البداية عن ضرورة تحرير الانسان من قيود القرون الوسطى الكنسية والطوائفية والمراتبية ، كظاهرة تقدمية تحولت هذه النزعة الى نزعة رجعية و متخلفة ، مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية . ولذلك دعى لينين في مقالته "التنظيم الحزبي و الادب الحزبي "الى ادب "حر ليس فقط من البوليس بل ايضا من رأس المال من الارتزاق و اكثر من ذلك متحرر من الفردية البرجوازية الفوضوية "ان الاهداف الجديدة والمواقع الجديدة تتطلب ايضا خصائص فنية وجمالية جديدة ، تتماشى مع هذه الاهداف. (شحيد، ٢٠٠٥، صفحة ١٧)

وقد ازدهرت الواقعية الاشتراكية في روسيا خلال القرن التاسع عشر ومهدت للثورة، وزادت قوة وانتشاراً بعد انتصار ثورة ١٩١٧ وانتقلت إلى البلدان الاشتراكية الاخرى في القرن العشرين، وكان من أوائل منظريها بلنسكي (المتوفى عام ١٨٤٨) وهو من النقاد الديموقراطيين ومؤسس علم الجمال الواقعي ومن الاشتراكيين الخياليين، وقد ناضل في الصحافة والادب لاخراج روسيا من نير العبودية والاستبداد ومن أعلامها أيضاً تشر نشفكي (المتوفى عام ١٨٨٩)الذي ناضل ونفي إلى سيبريا بسبب أفكاره، وهو أحد القادة الديمقراطيين والداعي إلى ثورة الفلاحين والنضال في وجه السلطة التقليدية، والدفاع عن الطبقات المسحوقة ولا سيما الفلاحين المستعبدين الفقراء. وله أيضاً رسالة في (علم الجمال) تعد أساساً لعلم الجمال الواقعي، انتقد فيها نظرية الفن للفن، واعتبر الحياة الواقعية نفسها مقياساً للجمال ومعياراً للصدق والاخلاص والعمق. ومن أشهر رواياته رواية ما العمل؟ (مجلة علوم اللغة العربية وادابها)

اثر الواقعية الاشتراكية في الشعر العربي

ولعلَّ نظرةَ المذهب الاشتراكي إلى الالتزام في الأدب، وأنه لا يقتصر على النثر، بل يشمل الشعر، كانت وراء إدخال (عبدالصبور)نزوعه الاشتراكي في مسرحيته الشعرية »مأساة الحلاج«، التي نشرها ١٩٦٥م. و(الحلاج)، هو: الحسين بن منصور، المولود حوالى منتصف القرن الثالث الهجري. لبس »خرقة الصوفية «بعد لقائه ب(سهل التستري)المتصوف الكبير، ولكنه نبذ خرقة الصوفية ليشارك الناس هموم حياتهم التي كان يعانيها بنفسه من الفقر والجوع والعري، وفساد السياسة، وغيرها من قضايا عصره. وكانت للحلاج رحلة إلى (الهند)، عاد بعدها للاصلاح في (بغداد)، فاجتمع حوله الفقراء والمعوزون .وقد اختلف في سبب صلبة: فهناك من ذهب إلى أنه صلب لدوره الاجتماعي الذي لم يكن ليرضى السلطة الحاكمة، فحكمت عليه بالقتل صلبا، بتهمة الزندقة والكفر والإفساد في الأرض. وهذا ما مال إليه (عبدالصبور) في مسرحيته. غير أنَّ فريقًا يذهب إلى أنَّ قتله كان بسبب ما صرح به

من اعتقادات فاسدة، كالحلول، والمشاهدة. وعقدت الجلسة الاخيرة لمحاكمته عام 309هـ ، وتولى القضاء في ما اتهم به) :أبو عمر الحمادي المالكي، وابن سريح الفقيه الشافعي وقاض ثالث عرف بـ(ابن سليمان)ووقع الخلاف بين أولئك القضاة، فكان أبو عمر وابن سليمان أميل إلى التسرع في إصدار الحكم، غير مكترثين بما تقتضيه مكانتهما العدلية من تحقيق العدالة بتجرد ،تام على حين كان ابن سريج معتدلا منصفا، فغادر مجلس المحاكمة لما لم يستجب زميلاه لنصحه، في التريث والتثبت قبل هكذا صورهم الشاعر في مسرحيته. (المدرسة الواقعية والشعر الجديد)

ايضا إن الالتزام الذي فرضته الواقعية الاشتراكية على الشعراء وعلى الادباء ألقى بظلاله على الشعر والادب عامة ، فمنهم من جعله محصورا في الشعر دون النثر لأنه بهذا الشكل يقيد حرية الأديب ويجعل أدبه يشتمل على نسق معيشي خاص، كما أن الادب تجربة شعورية تعتمد على شخصية الادب وأحاسيسه وعلى ما يريد أن يعبر عنه حتى يبلغ صداه عند القارئين فيصدقونه ويصدقون أحاسيسه لأنها تعبر عن مكنون صادق في التجربة أمثلة الالتزام الذي يحافظ على القيم الإنسانية العامة البعيدة الشمول جنبا إلى جنب مع القيم الجمالية ، وهو جانب من التطور الحقيقي للواقعية الاشتراكية في الشعر، وإذا كان للادب أن يكون في جانب النبل أو الفضيلة أو أي هدف اخر ، فإنّه لا يجوز بأي حال أن يتخلّى عن رسالته في عالم الفن حتى لا يهبط إلى إعطاء العظة .

فالقصيدة عند الاشتراكية عمل إنساني فني قبل كل شيء اخر ، ومع ذلك فشعر عندهم شعر ملتزم وادبة ادب هادف إلاّ أنّ التزامه لم يعق هذا التيار الإنساني الدافئ والعميق ، والذي يتغلغل في شعر كله ، وواقعيته تتخذ مضمونها من الثقة بالإنسان وقدرته ومن تغلب عامل الخير عنده ،فلا تكاد ترى في شعرهم أحيانا بعض المرارة أو السخرية من واقع الحياة وزيفها ، غير أنّ هذه المرارة وتلك السخرية لم تكونا إلا وسائط للتعبير عن شوقه لخدمة البشرية وتخليص الناس وحمايتهم من قيم وهمية سيطرت على عقولهم أو عجزوا عن رؤيتها وادراكها. (عبد الصبور، ١٩٧٢)

اثر الفكر الاشتراكي في "الشعر العربي الحديث"

تميّز العرب قديمًا بفصاحة اللسان والمفردات الجميلة والقدرة على ابتكار الصور التعبيريّة النادرة، حيث استمرّت ظاهرة الشعر من" العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"، قد ظهرَ اختلاف في مسار تصوير اللغة واستخدام المصطلحات والموضوعات "على مدى تاريخ الشعر"، فكانت موضوعاته تُصاغ بحسب حاجة المجتمع في ذلك الوقت، ويُشار أنّ الدين الإسلاميّ كان من أهم الأسباب التي أدّت إلى تغيير مميزات الشعر وشروط كتابته، ولا بدّ من التمييز بين الشعر والنثر، فقد استُخدم الشعر من أجل اصلاح العلاقات القبَليّة ومحاربة العدوّ باللسان،

اضافة إلى أن بعض الشعراء كانوا يلقون الشعر في "بلاط الأمراء" تكسُّبًا، وكان للنثر غاياتٌ مشابهة و أخرى مختلفة، وفيما يأتي حديث"حول الشعر العربي الحديث" وخصائصة. (العطوي، ٢٠٠٩، الصفحات ٤٥ – ٤٧)

"شعراء إحياء الشعر العربي الحديث"

تعتبر عملية إحياء الشعر هي بمثابةِ إحياء للتراث وللثقافة والتقاليد الموروثة، ففي العصر الحديث نهضت هذه الحركة على أيدي روادها منهم: "العقاد ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب" وغيرهم الكثير، ولقد نَهَجَ هؤلاء الشعراء نَهْجَ الشعراء القدماء وأنواع الشعر العربي القديم بموضوعاته وأوزانه، فنهجوا منهج القصيدة من حيث البناء والوزن، وتعدّد الأغراض والموضوعات، اضافه إلى أنّهم التزموا بالأوزان الشعرية . < **CITATION الا١٩ \ ١ l ٢٠٤٩**)الادب العربي في العصر الحديث،(2019 **>**

ومن أهمّ العناصر التي أدّت إلى تطور الشعر العربي الحديث ما يأتي:

اليقظة الفكرية: هذه اليقظة التي تمثّلت بانتشار التعليم بأغلب المدن، وحال البلاد الذي ساعد الشعراء إلى التحول إلى كتابة شعر الاصلاح.

العودة إلى التراث: إنّ العودة إلى التراث هي العودة إلى الاصل وإلى الجذور الأولى في كلّ مسألة، هذه الجذور التي هي بمثابة القوة الدافعة إلى التمسك بالتقاليد التي تحفظ موروث اجدادنا واصولنا.

الانفتاح على الثقافة الغربيّة: لقد تمثّلت الثقافة الغربية بأوروبّا والاختلاط بأدبهم ممّا أدّى إلى توسّع الثقافة وشمولها، اضافة إلى التواصل معها من أجل الترجمة والنشر الذي يساعد على تبادل الثقافات والإطلاع بشكل أوسع على مدى العالم. مواجهة الاستعمار: إن الشعر الذي ينادي بالجهاد والدفاع عن الوطن، هو ينادي طاقات الشباب ويعيد إحياءها، فالشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن الأرض.

الشعر العربي الحديث وخصائصه

لقد أبرز الشعر العربي فنونَ العرب، واستعادَ أمجادَ الأمّة وعرض للعالم قوة اللغة العربية وفصاحتها، أما عن نهضة الشعر الفعلية فلقد بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثمّ بدأت تتسع في أوائل القرن العشرين ، وتاليًا حديثٌ حول الشعر العربي الحديث وخصائصه تحديدًا: زهد الشعر العربي الحديث وخصائصه في الفخر الشخصيّ، فلعبت الكلمة دورًا في النهضة الحاضرة للدول العربيّة، عن طريق إحياء الثقة بالنفس وتحفيز طموح

الإنسان العربيّ، وإثارة التمرّد على الاستعمار وعلى العيوب الاجتماعيّة. تحرّر الشعر العربي الحديث من القافية الموحدة. توسُّع الشعر العربي الحديث بالصور التخيليّة، أي استخدام الخيال في تركيب الصور التشبيهية.

استخدم الشعر العربي الحديث ظاهرة "الرمز" تلك الظاهرة التي ساعدت الأدب بظهور دراسات من النقاد في تأويل الرموز ودراستها.

تميز الشعر العربي الحديث وخصائصة ببروز أسماء شاعرات بشكل أكبر نسبةً إلى العصور السابقة، وتميّزَ إنتاج الشاعرات بسمات شعريّة خاصة، أما الشعراء فكانت المرأة في شعرهم موضوعا جوهريًّا وأكثروا فيه من صور الزوجة.

وصول الشعر العربي الحديث إلى أعماق الفكر والشعور الصافي وإلى التعبير النفسي الدقيق. اتسم الشعر العربي الحديث بظاهرة التنوع، فقد كثرت اغراضه وفنونه وألوانه، اضافه إلى يقظة الوطنية حتى اصبح الشعراء يحسون بواجبهم مقابل شعورهم، فيخدم الشعور هذا الواجب.

اثر الواقعية الاشتراكية في شعر الرواد في العراق

أما في العراق فقد ظهرت مجموعات شعرية لشعراء اشتراكيين، تبنّوا فكرة الاشتراكيه ، وكان لهم حضور شعري كبير على الساحتين العربية والدولية أمثال بدر شاكر السياب وكاظم جواد وعبد الوهاب البياتي ، والأخير هو المجال التطبيقي لهذه الدراسة.

وإذا كان الشعر الملتزم شعراً ثائراً بطبيعته، يسعى إلى هدم الطواغيت، وبناء المدينة الفاضلة، التي يتساوى فيها البشر ولا يستبعد بعضهم بعضاً، فإنّ الشاعر "لا يرتبط بثورة عصره وبلاده فقط، وإنما بثورات كل العصور وكل البلدان، لأن روح الثورة تحلّ في الحياة، وتنتصر على الموت، وتحلّ في الأشياء . (هدارة، ١٤١٠هـ) فتمنحها الحياة ومن جهة الهم العام فقد كان البياتي من أبرز الشعراء الذين وظفوا شعرهم لخدمة الوطن والقوم والإنسانية. (مجلة علوم اللغة العربية وادابها)

ومن الادباء الذين كان لهم اثر في الفكر الاشتراكي الشاعر عباس محمود القعاد حيث كان الشاعر ابن زمانه وعليه أن يكون صدى لما يقع في عصره ، ويرى العالم الموجود بكل تطوراته وأحداثه ، ويستفيد من هذه الموهبة الإلهية في سبيل مساعدة المظلومين والوقوف أمام المستبدين والظالمين ويساير المصلحين لدفع الشرور في المجتمع النقد الاجتماعي وتصوير الشرور والمفاسد في المجتمع ورفضها على عاتق شعراء المدرستين الرومانسية

والواقعية الاشتراكية. فإلى ذلك يجب على الأديب الاشتراكي أن يصور جانبا واقعيا من الفترة التاريخية التي عاش فيها. وتزداد أهمية عمله الأدبي بقدر رسوخ أصوله في وعي العصر الذي كتب فيه هلال ، ١٩٧٣ (٣٣٥). كما فعل العقاد في شعره ، خاصة بعد دخوله في السياسة ولهذا نجد وئاما بين الاتجاه الرومانسي والواقعي الاشتراكي في شعره. وفي قصيدة زماننا عندما أراد أن يدعو مواطنيه إلى العزة ، والصمود ، والاستقامة ، والكرامة فلم يقف موقف الواعظ ، ولكنه وقف موقف الأديب الثائر فصوّر مجتمعه ، وهو مليء بالجهالة والمنكر والرياء والضلالة يحكم دون الحق بين الناس. فهو ينظر إلى الأوضاع التي تحيط بمجتمعه بتشاؤم ، فيثور عليها بأدبه ويقول: المائعون المتملقون يتولون أسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم وفشت خستهم ودناءتهم وكثر نفاقهم وجثوا خاضعين تذللا ، واللئام قد بلغوا أسمي الدرجات ، فكأنهم القرود وقد اعتادوا التسلق (خفاجي ١٩٩٢٠ ، ج ٢: ٣٥) :

فشت الجهالة واستفاض المنكر فالحق يهمس والضلالة تجهر

والصدق يسري في الظلام ملثما ويسير في الصُبحِ الرِّيَاءُ فَيَسفَرُ

اً إنَّا لَفِي زَمَنٍ كأَنَّ كباره بسوى الكبائر شأنها لا يكبر

سَبَقَ اللئام إلى ذراه فَقَهَقَهُوا إن القرود لبالتسلق أخبر العقاد

لقد استعان العقاد من عبارة انا لفي زمن للتعبير عن الفترة التاريخية التي عاش فيها , وفي قولة الحق يهمس والضلاله تجهر ، اشارة الى سياسة الحكام الخاطئة وفية اللون الحجاجي القائم على المقارنة بين الحق الذي من المفترض ان تكون ملامحة بارزة وملامح الضلالة تكون مستترة . يشير الشاعر من مقارنة بين الصدق ، ملثما والرياء ، سافر الى اصالة الصدق وعدم اصالة الرياء وشبة الصدق بالمراة الحرة الاصلية التي تخرج في البيئة الجاهلية ملثمة والرياء بالامة التي كانت سافرة انذاك .

أن نازك الملائكة كانت رائدة في تطوير القصيدة العربية الحديثة، وكانت، كما يرى الشاعر والناقد علي جعفر العلاق، «جريئة حين واجهت جدارا صلبا من قيم السلوك الشعري والاجتماعي والثقافي، واستطاعت ومعها زميلها الشاعر الكبير بدر شاكر السياب، هز شجرة الشعر العربي هزا عنيفا بعث فيها الحياة وروح الدهشة من جديد». وكانت صاحبة فضل أساسي في انتشار الشعر الحرّ، هذه الحركة الجديدة التي ظهرت سنة ١٩٤٧.. ونجحت في مد جسر ينقلنا من القصيدة التقليدية ذات الشطرين إلى قصيدة الشعر الحر التي تطورت مع الزمن إلى ما يعرف اليوم بقصيدة النثر،

وذكرت في احدى قصائد نازك التي صورت فيها مشاعرها واحاسيسها نحو مصر حين داهمها وباء الكوليرا

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

فى عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

فى كل فؤادٍ غليانُ

فى الكوخِ الساكنِ أحزانُ

فى كل مكانٍ روحٌ تصرخُ فى الظُلُماتْ

فى كلِّ مكانٍ يبكى صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

تمثيلات الواقعية الاشتراكية في شعر البياتي .

كثيرون هم الذين تبنوا الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي الحديث، وكثيرون هم الذين انطلقوا من ضرورة أن يكون للأدب عموماً وللشعر خصوصاً دور وظيفي منوط بالهم الجمعي والقضايا العامة، ويبقى الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي من "أهم من يمثل الواقعية المحدثة في العراق، وربما في الوطن العربي لأنه بدأ بنشر مجموعات . شعرية تكشف عن الالتزام بهذه الفكرة وإذا كان الشعر الملتزم شعراً ثائراً بطبيعته، يسعى إلى هدم الطواغيت، وبناء المدينة الفاضلة، التي يتساوى فيها البشر ولا يستبعد بعضهم بعضاً، ومن جهة الهم العام فقد

كان البياتي من أبرز الشعراء الذين وظفوا شعرهم لخدمة الوطن والقوم والإنسانية، فقد وظف شعره لخدمة العشاق والفقراء والعمال والثوار، يداوي فيهم أوجاع العذاب بشتم واستصغار واحتقار التنابلة وكلاب الصيد وصيادي الذئاب وسارقي أسلاب الضحايا ساعة الإعدام وماسحي أحذية الملوك والمهرجين مزوري الأفكار وشهود الزور وقد انطبع شعر البياتي بطابع الالتزام بدءاً من مجموعته الصادرة في منتصف القرن الماضي تحت عنوان " أباريق مهشمة "وامتد هذا الطابع عبر مجموعات شعرية متعددة كان آخرها نصوص شرقية "الذي كان خاتمة عطائه إذ نشر قبل رحيله في العالم **١٩٩٩**. وفي مجموعاته الشعرية وسيرته النثرية حمل البياتي "حزن الإنسان العربي والعراقي القديم والمعاصر وإنسانيته وخوفه من المدينة ،ومذلاتها، مما جعله يعيش على مر حياته إحساساً فاجعاً بالظلم والطغيان والقهر والاستلاب والعذاب والجوع والموت المجاني الذي يلف أبناء وطنه وأمته في كل العصور والأزمان مدافعا عنهم شاهراً سلاحه المرئي بوجه السلطان الجائر، والحاكم الطاغية، ناثراً حروف كلماته وأشعاره على وجوه الفقراء المضطهدين في كل مكان والتي بلون الانسانية (البياتي، تجربتي الشعرية، ١٩٩٣)

والبياتي الشاعر الذي عانى من القهر والتعسف في وطنه، وآثر المنفي غير مرة، كان من أبرز الشعراء الذين حملوا وطنهم في وجدانهم، وانتموا لأمتهم الكبيرة، ولقومهم، وإن جاروا عليهم. من هذا كان البياتي أحد الذين حملوا راية الاتجاه الثوري – في شعرهم، فاتخذ هذا الشعر بعدا واضحا في وقوفه عند عدد من القضايا الجماعية ووجد نفسه يتابع الأحداث العربية، بل ويكون في شعره فاعلاً فيها، فكان مثالاً لأنا القوم، وجمع بين القومية والاشتراكية، واندمج "ضمن قوى لعله أصبح يعتقد أنها تعمل على تغيير المجتمع، فوجد نفسه مدفوعاً إلى ملاحقة الأحداث والتعبير السريع عن تقلبات الواقع" (البياتي، الاعمال الشعرية، ١٩٩٥، صفحة ٧٧).

نموذج عن الشعر الرومانسي لعبد الوهاب البياتي

ومن هذا نستنتج ان الشعر لغة العاطفة ممها اختلف ما يرمى اليه من ابعاد حماسية وثورية كما في متبنيات الفكر الاشتراكي عندما تتمثل في الشعر لذا مماجاء به هذا الفكر الرومانسية الاشتراكية حيث ذكر في قصيدة

"صلوات"

إنني أستنشق الهواء العذب الخارج من فمك

وأتأمل كل يوم في جمالك

وأمنيتي هي أن أسمع صوتك الحبيب

الذي يشبه حفيف ريح الشمال

إن الحب سيُعيد الشباب إلى أطرافي

أعطني يدك التي تمسك بروحك

وسوف أحتضنها وأعيش بها

نادني باسمي مرة أخرى وإلى الأبد

لن يصدر نداؤك أبدًا بلا إجابة عنه

نموذج عن الشعر الثوري

قصيدة مسافر بلا حقائب

من لا مكان

لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان

تحت السماء، وفي عويل الريح أسمعها تناديني:

"تعال" !

لا وجه، لا تاريخ.. أسمعها تناديني: "تعال"!

عبر التلال

مستنقع التاريخ يعبره رجال

عدد الرمال

والأرض مازالت ، وما زال الرجال

ان التحديث الذي حصل ((للزمكان)) عند الشاعر البياتي ..قد وضع.. منطقه الشعري .. في بذرة الحلم المتطابقة ، مع السمة المتناهية في اصغر انتقالة ((للنواة)) لفينومينولوجيا الشعر تفصح عن المجرد من الموضوعات ... وهو الاسلوب الشعري الذي يعالج ... الصوت والظاهرة في ((الزمكان)) وهو يشكل العبارة كما فهمها ((هوسرل)) بالبحث المنطقي عن ((الزمكان)) وهو الاسلوب الذي طرحه البياتي لبلوغ اعلى غايات النموذج في التماثل الافلاطوني ... وصهر التأمل الابداعي ... بخواص الشعرية الحديثة والمشاهدة الدقيقة من خلال حقيقة ((الزمكان)) التي تمثل العبارة ، والتوقف ((للاحساس بالايقاع)) وهو يتداخل بمستويات الشعور ((الزمكاني)) الواعي وهو الذي يشد الاشياء الى نسبية متناهية ... باحثاً عن البداية في عملية ((التفكير)) من خلال اشكالية المعنى – والزمكان)) في ، الجديد من التحليل والرصد ... في الرؤيا ... والمنهج الشعري باتجاه ، معرفة التحديث (ياسر، ٢٠٠٣)

العرب اللاجئون

"الآخرون هم الجحيم"

"الآخرون هم الجحيم"

(٧)

العار للجبناءِ،

للمتفرجينْ

العار للخطباء من شرفاتهم،

للزاعمين ...

فالبياتي يعيد صياغة هذا البيت صياغة جديدة، تأخذ من بيت طرفة مضمونه وروحه، لتمتزج بلغة البياتي الخاصة. وتكمن في هذه القصيدة رؤية البياتي لتجربة النفي، التي عاشها سنين طويلة، حيث تكشف عن شدة معاناة المنفيين. ولعل هذه القصيدة تمثل أيضاً قضية الاغتراب، اغتراب الفنان والمفكر والأديب في أجلى صورها في هذا العصر، حيث يعيش كلٌّ منهم في منفئ نفسي أشد مرارة من المنفى الجسدي، ويعيش كل منهم حالة من العذاب والقلق والقهر تشابه، بل تضاهي حالة المغترب جسدياً. وواضح أن نص البياتي قد تمدد على جسد بيت

المعري السابق الذكر، وفق عملية امتصاص وتسرب بعد تحويل هذا البيت عن مجراه ومساره، ووضعه في تركيب لغوي جديد، له حرارته ووهجه، وذلك بهدف إسقاط مغزاه على الواقع المعاصر، الذي يعيشه العرب، ويلاحظ المتلقي أن الدلالة في كلِّ من النصين القديم والجديد مختلفة، فالمعري يطلب من صديقه، أن يمشي بأناة ،ورفق، لاعتقاده بأنه ربما تكون جميع تلك المساحات من الأراضي ممتلئة بأجساد الأموات منذ العصور الغابرة وحتى زمنه هو، أما البياتي فإنه يستخدم مغزى بيت المعري في دلالة مغايرة، هدفها السخرية اللاذعة من مواقف العرب المخزية تجاه الشعب الفلسطيني، ونكباته المستمرة, (إحسان، ١٩٥٥، صفحة ٢٤)

الموت في غرناطة

ارض تدور في الفراغ ودم يراق

ويحي على العراق

تحت سماء صيفة الحمراء

من قبل الف سنه يرتفع البكاء

حزنا على شهيد كربلاء

ولم يزل على الفرات دمه المراق

*****

نأتي ونمضي حاملين الفقر للقبور

يا صرخات النور

ها أنذا محاصرٌ مهجور

ها أنذا أموت

في ظلمة التابوت

يأكل لحمي ثعلب المقابر

تطعنني الخناجر

من بلد لبلد مهاجر

على جناح طائر

أيتها العذراء

والنور والتراب والهواء

وقطرات الماء

ها أنذا انتهيت

مقدّسٌ باسمك هذا الموت

حيث استطاع الشاعر في مخيلته الشعرية ان يدمج في قصيدته بين احداث كربلاء واحداث مدريد ،وايضا يلاحظ أن موت غارثيا لوركا، الذي صوره البياتي على أنه وقع في مدريد، بدأ يلمح إلى موقعه الحقيقي، أي في غرناطة، في قصيدة "الموت" في غرناطة" دون أن يشير صراحةً إلى ذلك، إذ إكتفى بأن وظف "معلم "الصبيان" ليعلن في غرناطة أن الفاشست قتلوا الشاعر ومثلوا بجثته على نهر الفرات في حين يصر على أنه سيبعث من التراب كالعنقاء التي يناجيها بالرغم من يديه المبتورتين. وقد لجأ البياتي إلى السرد في معالجته لهذه الحادثة. جمع البياتي في هذه القصيدة بين غارثيا لوركا وشخصية اسلامية دينية تاريخية أخرى لقيت حتفها، أو صفيت على يد الخصوم، وهو الشهيد الحسين بن علي (علية السلام) فكلاهما ،شهيد كل من منظور خاص، وكلاهما لقيا "موتاً ثورياً ونبتياً، بذرة خصبة من شأنها أن تثمر مولداً أجمل حياةً جديدة وأسمى (البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي ، ١٩٥٥)

قصيده سوق القرية

الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب

وحذاء جنديٍّ قديم

يتداول الأيدي، وفلاح يحدِّقُ في الفراغ:

"في مطلع العام الجديد

يداي تمتلئان حتما بالنقود

وسأشتري هذا الحذاء"

وصياح ديكٍ فرّ من قفص، وقديس صغيرٌ:

"ما حك جلدك مثل ظفرك"

تحليل قصيدة سوق القرية تحليل المقطع الأول الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب وحذاء جندي قديم يتداول الأيدي، وفلاح يحدق في الفراغ: "في مطلع العام الجديد يداي تمتلئان حتما بالنقود وسأشتري هذا الحذاء" إنّ المتأمل لهذا المقطع الشعري يجد أنّ الشاعر يتحدث عن مأساة اجتماعية وهي الفقر، فالشمس هي مصدر إزعاج لأنه لا يوجد وسيلة لاتقاء حرّها، والحُمرهزيلة بسبب الجوع والفقر وقلة العلف والطعام والكلأ، فالمجتمع الذي يصفه لنا الشاعر فقير لا يستطيع حتى إطعام الحيوانات. فهذه القرية جدباء قاحلة لا خير فيها ينبت ولا طعام ، إذ لا يوجد حتى حشائش في الأرض لتأكل منها هذه الحمر، ونجد أن الشاعر يستحضر الذباب،الذي هو يمثل دلالة الوباء والمرض، فهذا مجتمع فقير لم يسلم فيه البشر والحيوانات. (البياتي، الاعمال الكاملة للشاعر عبد الوهاب البياتي، ٢٠١١)

القضايا الاجتماعية

يتناول هذا البحث القضايا الاجتماعية في شعر عبد الوهاب البياتي نظرا لاهتمام الشاعر الكبير بالانسان وقضاياه المتشعبه والكثيرة وما شعره إلا وثيقة إنسانية تعبر عن أهم قضايا الانسان بكل مستوياتها والمتمثلة في قضيتي (الفقر– المرأة) وقد ابرزت الدراسة خطورة قضية الفقر كآفة خطيرة لها أثارها السيئة علي المجتمع والمسببة لقضايا أخرى كالجهل والتخلف وقد أولي الشاعر هذه القضية أهمية كبيرة ونظر إليها نظره مركبة ومتعمقة. أما قضية المرأة فقد أوضحت الدراسة مدى رقي نظرة البياتي للمرأة ككائن اجتماعي خلق من أجل المشاركة الفعالة في بناء المجتمع لامن أجل اللهو والمتعه أما قضايا البياتي السياسية فقد تمثلت في الثورة والحرية

وتتكمثل أهم القضايا الفكرية (المدينه – القرية– الحزن– الحب) وقد اهتم الشاعر بالتراث عن طريق اكتشاف والرجوع الدائم اليه والاستفادة منه عن طريق دراستة وقد أوضحت طبيعة التجربه الشعرية لدي البياتي في اعماله الاولي حيث نجده ما يزال في مرحلة البحث عن هويته الفنية وكانت الرومانسية الواقعة معا أقرب المذاهب إليه وأسهلها تناولا حيث نجد روح الشاعر مليئة بالقلق والتمرد والاشواق المبهمة ولكن بتقدم الشاعر بخطوات ثابته علي درب المعاناه وتمكنه من أدواته الفنيه ونضجة الفكري صارت التجربه لديه علي قدر كبير من التكثيف والشمول والتعقيد فأصبحت التجربه لديه شامله وكلية تسيطر علي فكره ووجدانه مثل ديوان ""قصائد حب علي بوابات العالم السابع" (القاضي، ١٩٩٥، صفحة ٨١١)

نماذج عن القصائد الاجتماعية

يوميات العشاق الفقراء

لم يظهر النجم ولكن ظهر السادة واللصوص

وأغمدوا سيوفهم في جثث الأطفال

وشعراء الحلم المأجور وفقراء المدن الجياع

وحرفوا شهادة الأموات والكتب المقدسة

وتظهر القراءة التحليلية للمقطع السابق تحقق التناص الإشاري من خلال قول البياتي: (وحرفوا شهادة الأموات والكتب المقدسة، حيث يسهم النص القرآني الذي يستحضره البياتي، في تعرية لصوص هذا العصر من الأغنياء الذين يستغلون الفقراء، ويأكلون حقوقهم، ويقتلون براءة الأطفال، ويتحكمون في مصائر الناس، ويفعلون ما يحبون. (البياتي، الاعمال الكاملة للشاعر عبد الوهاب البياتي، ٢٠١١، صفحة ١)

الموت والقنديل

كان الروم أمامي وسوى الروم ورائي,

وأنا كنتُ أميل على سيفي منتحرًا تحت الثلج,

وقبل أفول النجم القطبيّ وراء الأبراجْ

فلماذا سيف الدولة ولَّى الأدبارْ؟

فعلى مستوى التركيب النحوي ، أضاف البياتي إلى بيت المتنبي جملتي : (كان الروم أمامي)، و(أنا كنت أميل على سيفي منتحراً تحت الثلج). كما أضاف كلمة (ورائي). وحذف من البيت جملة (خلف ظهرك روم) وجملة فعلى أي جانبيك تميل). أما على مستوى الدلالة، فقد ظهر سيف الدولة في بيت المتنبي قائداً شجاعاً ، يحاربه الروم وغير الروم من الأعراب، وهو في كل ذلك يتصدى لكلا الطرفين، ويعمل فيهم القتل. وفي نص البياتي يتحول سيف الدولة إلى مجرد قائد يصور موقف مهزوم يفر من المعارك، ويولي الأدبار . ولعل البياتي أراد من خلال ذلك أن المثقف الذي يثبت أمام العدو، ويتصدى له وحيداً بقلمه وكلمته، ويموت شهيد موقفه، على حين يفر السياسي والحاكم. (البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، ١٩٧١)

الخاتمة

نستطيع القول اننا استنتجنا من هذا البحث على ان الشاعر كان اشتراكيا في التعامل وفي كتابه اشعاره واستطاع من ذلك توظيف شعره في مواضيع عده من اهمها الاشتراكية في التعامل حيث قام الشاعر في كتابه العديد من قصائده متأثرا بالواقع الذي كان يعيشه والاحداث التي مر بها على مر السنوات التي عاشها متنقل من بين بلد الى اخر ، ولقد كان عبدالوهاب البياتي مهموما بالشعر تواقا الى تبني تيار ابداعي يرتبط باسمه ، ولذلك لم يكتف بالكتابة الشعرية فقط بل تجاوز ذلك الى التنظير في مفهوم الشعر والحداثة والتجديد ، كما تمكن من خلق رؤية شعرية جديدة تدعو للتمرد ورفض الوزاقع المعيشي ، وان الشعر يعد واحدا من الاسلحة التي يمكنها الوقوف ضد الظلم السائد وبالتالي له القدرة على ان يحدث التغير، ويجب أن يتخذ الكاتب الاشتراكي العربي الاشتراكية عقيدة عمل في سبيل تطوير أمته وليست سبيلا فنياً ، أى أن الأدب الاشتراكي يجب أن يكون فلسفة يؤمن بها الأديب وأسلوباً لمعالجة المشكلات العربية وتوسيع الآفاق أمام الفكر العربي بعيداً عن كل طريقة شخصية

والخلاصة ان الأديب المبدع هو الذي يصب تجاربه مع تجارب شعبه ويسجلها بأسلوب واقعى ينقل بها حياة شعبه إلى حياة مثلى جديدة .

المراجع

١. *مداخلة في ندوة المائة لثورة اكتوبر الاشتراكية*. (٢٠١٧). عمان: يومي ١٨ – ١٩ / ١١.
٢. *الادب العربي في العصر الحديث*. (٢٠١٩). اطلع عليه بتاريخ ٦-٩-٢٠١٩ عبر الرابط : www.marefa.org .

٣. الفيروزبادي. (بلا تاريخ). *القاموس المحيط*. دار الكتاب العربي.
٤. *المدرسة الواقعية والشعر الجديد*. (بلا تاريخ). https://www.almrsal.com/post .
٥. جمال . وليد قصاب شحيد. (٢٠٠٥). *خطاب الحداثة في الادب : الاصول المرجعية*. دمشق: دار الفكر.
٦. در صالح ياسر. (٢٠٠٣). *الثقافة الجديدة بعض ملامح خريطة العلاقات الطبقية الاجتماعية بعد ٢٠٠٣*. موقع رابطة المراة العراقية.
٧. سلامة موسى. (١٩٩٩). *كتاب الاشتراكية*. القاهرة: دار النشر.
٨. صلاح عبد الصبور. (١٩٧٢). *الواقعية الاشتراكية – ديوان العرب*.
٩. صلاح فضل. (١٩٨٠). *منهج الواقعة في الابداع الادبي*. مصر: دار المعارف . ط٢.
١٠. عباس إحسان. (١٩٥٥). *عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث*. بيروت: دار بيروت.
١١. عبد الرزاق الاصفر. (١٩٩٩). *المذاهب الادبية لدى الغرب*. سوريا: اتحاد كتاب العرب , مجلد ١.
١٢. عبد السلام المسدي. (١٩٨٣). *النقد و الحداثة*. بيروت: دار الطليعة للنشر.
١٣. عبد الوهاب البياتي. (١٩٥٥). *ديوان عبد الوهاب البياتي* . بيروت: دار العودة.
١٤. عبد الوهاب البياتي. (١٩٧١). *ديوان عبد الوهاب البياتي*. بيروت: دار العودة , مجلد ١٠٩ .
١٥. عبد الوهاب البياتي. (١٩٩٣). *تجربتي الشعرية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ط٣.
١٦. عبد الوهاب البياتي. (١٩٩٥). *الاعمال الشعرية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ج٢.
١٧. عبد الوهاب البياتي. (٢٠١١). *الاعمال الكاملة للشاعر عبد الوهاب البياتي*. مصر: دار الشروق.
١٨. فؤاد زكريا. (١٩٦٨). *الفكر المعاصر*. مصر: دار المعارف , العدد ٤٤ , http://www.hindaei.org/books/.
١٩. لودفيج فون ميزي. (١٩٢٢). *كتاب الاشتراكية* . مجلد ٣٤: ط٢.
٢٠. *مجلة علوم اللغة العربية وادابها*. (بلا تاريخ). مجلد ١٢ , العدد ٢.
٢١. محمد عبد الغفار منجي محمد القاضي. (١٩٩٥). *عين شمس الاداب اللغة العربية*. ماجستير.
٢٢. محمد مصطفى هدارة. (١٤١٠هـ). *الحداثة في الادب العربي المعاصر*. مقال مطول مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر.

٢٣. مسعد بن عيد العطوي. (٢٠٠٩). *الشعر العربي الحديث*. شبكة الالكترونية: الألوكة.
٢٤. نعمات فؤاد. (٢٠٠٩). *خصائص الشعر الحديث*. بيروت: الفكر العربي.
٢٥. يوسف عز الدين. (١٩٦٨). *الاشتراكية والقومية واثرهما في الشعر الحديث*. القاهرة.